

الإضاءة قديماً

اكتشافها ، وسائلها ، طرق استعمالها

نمرود قاشا

بغديدا

وسمى الله النور نهارةً ، والظلام ليلاً" سفر التكوين ١: ٥

• النور والظلام في الكتاب المقدسة

من غير الممكن أن نحدد الفترة الزمنية التي عرف فيها الإنسان الإضاءة فمن خلال التنقيبات في الكهوف والمغاور وبقايا المجمعات السكانية عثر على آثار ومخلفات تدل على أن الإنسان القديم كان يستعمل النار بعد أن اهتدى إليها بالصدفة وقبل هذا الاكتشاف الإنسان الذي اهتدى إليه الإنسان نتيجة لظواهر طبيعية سببت في إشعال حرائق كالصواعق والرعود أو احتكاك حجرتين ببعضهما أو احتكاك قطعة خشب بأخرى مثلاً.

وقد ورد ذكر النار في الكتاب المقدس "وأمر الرب على سدوم وعموره كبريتاً وناراً من السموات" (١) وورد أيضاً قول (وقال الله: ليكن نور، فكان نور) (٢) هذا يعني أن الإنسان ومنذ بدء الخليقة نظر إلى الضوء والنار بشيء من الرهبة والتقديس مصحوباً بالخوف وبموجب هذه السياقات كان ينظر إلى الشمس والقمر بأنهما مصدر الضوء والدفء والحرارة وقد سيطرت هذه النظرة على تفكير الإنسان القديم حتى انه وصف ألهته بالنور وعبد كل ما له علاقة به ومنبع للنور.

الشعوب القديمة وعبادة الشمس والقمر

الشعوب المصرية القديمة (الفراعنة) كانوا يعبدون (رع) إله الشمس منذ عصر السلالة الثالثة (٢٦٨٦ ق.م) ثم أصبح الفرعون (ابن رع) وتعظيماً له بنوا أول معبد للشمس في عهد السلالة الخامسة في (أبو صير) أما (اخناتون) فقد (تبنى عبادة آتون ، وآتون هو قرص الشمس الطبيعية التي ترسل النور والحرارة ، بينما _ رع _ الجزء الإلهي من الشمس وأكثر رمزية وروحانية) (٣)



العراقيون القدماء هم أول الشعوب الذين عبدوا الشمس (تحت قواعد دينية منظمة فقد كان الأكاديون والسومريون والكلدانيون

أسسوا معابد لعبادة إله الشمس (اوتو) في مدينتي لارسا وسبار وكانوا يوقدون في معابدها ناراً لا تطفئ تكريماً، وعندهم انتشرت عبادة الشمس وجعل البابليون للشمس بستاناً تغيب فيه، كما جعلوا لأله الشمس بحراً وقد ركب كلكامش للشمس بستاناً تغيب فيه، كما جعلوا لأله الشمس بحراً وقد ركب كلكامش سفينة له . (٤)

كما يشاهد حمو رابي في مسلته المشهورة وهو واقف أمام إله الشمس (شمش) يقوم خضوعه ويستلم منه القوانين وجاء في شريعة الملك (اورنمو) : لقد جعلت شرائع الإله شمش تسود في البلاد . (٥)

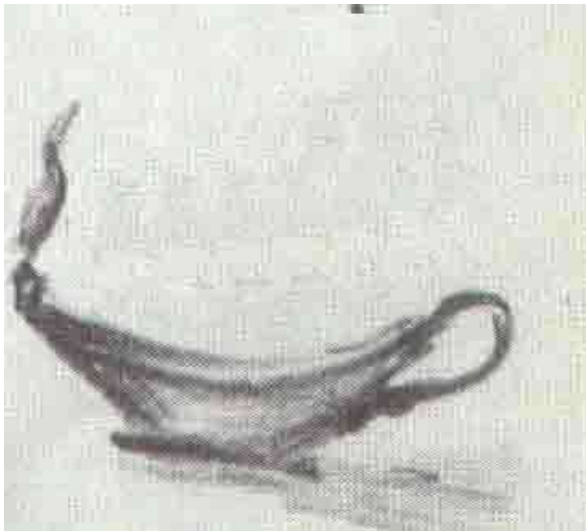
الأشوريون أطلقوا تسمية (شمش ، شمشا) على البوابة الرئيسية التي تتوسط السور الذي يطوق عاصمتهم (نينوى) والتي بلغت أوج عظمتها (١٠٨٠ ق.م) وقد عظم شأنها في عهد الملك سنحاريب .

سكان الهند الأصليون يسمون الشمس (قانا باتي) وتعني (الذي يحل المشكلات) ويؤكد المؤرخ المسعودي بأن ملك الهند (البر همن الأكبر) أمر ببناء هيكل للـ (المدبر الأعظم) الذي هو الشمس .

• وسائل الإضاءة

بدأت وسائل الإضاءة بسيطة لا تتعدى إشعال عود حطب مكون من غصن يابس ينير به طريقة أو كهفه قبل أن يكتشف آنية مجوفة مصنوعة من الحجر أو عظام الحيوانات أو بقايا أصداف بحرية ومن ثم آنية خزفية صنعها الإنسان لتتحول إلى وسائل إنارة بعد أن يضع فيها شحوم حيوانية أو زيوت معدنية أو نباتية يقوم بإشعالها.

١. سراج: وتجمع (سرج) واصل الكلمة سرياني (آرامي) وتلفظ (شراغا) أو (شرائاً) بالسورث (وهو إناء يجعل فيه زيت أو نحوه وتغمس فيه فتيلة يشعل طرفها للاستضاءة. (٧) وهو أقدم وسائل الإضاءة، كانت تصنع قديماً من الطين بعده من الخزف .



الرومانيون أيضاً قدسوا الشمس وأعظم آلهتهم هو (جوبتير) هو إله النور والزوابع ويليه الدبّة (يوتون) آلهة النور والضياء وتعتبر زوجة جوبتير ، وكذلك (هيليوس) إله الشمس. (٦)

في العقيدة الايزيدية هناك الكثير من الإشارات في طقوسهم وفي كتاب (الجلوة) والذي جاء ببعض من نصوصه نشرها الكاتب جورج حبيب في كتاب (الايزيديون بقايا دين قديم) ومما جاء فيه بعض نصوص هذا الكتاب الأتي : عكس نور الملك (اسرافيل) خلق الشيخ (الشمس الدين) الذي طلع كالشمس وانتشر شعاعه ونوره في جميع الدنيا، وفي فقرة أخرى يرد النص: لا تحلفوا كذبا بالشمس والقمر، لا تحلفوا كذبا بأي نور.

من خلال ما ورد أعلاه يبدو أن الإنسان البدائي كان يقف حائراً أمام مجموعة كبيرة من الظواهر الطبيعية وكان يحاول أن يجد تفسيراً لكل ظاهرة مثل تعاقب الليل والنهار والفصول القمر والنجوم والشمس والتي أخذت حيزاً كبيراً من تفكيرهم.

للاستدلال على بيوتهم وظلت الأمور هكذا حتى بداية القرن التاسع عشر.



أما في العراق فبقيت (شراغا) او شراثاً المصنوع من الصفيح تستخدم في البيوت حتى بداية الستينات مستخدمة زيوت مختلفة منها (الشيرج، زيت الزيتون، زيت الغاز والنفط الأبيض).

• الشموع

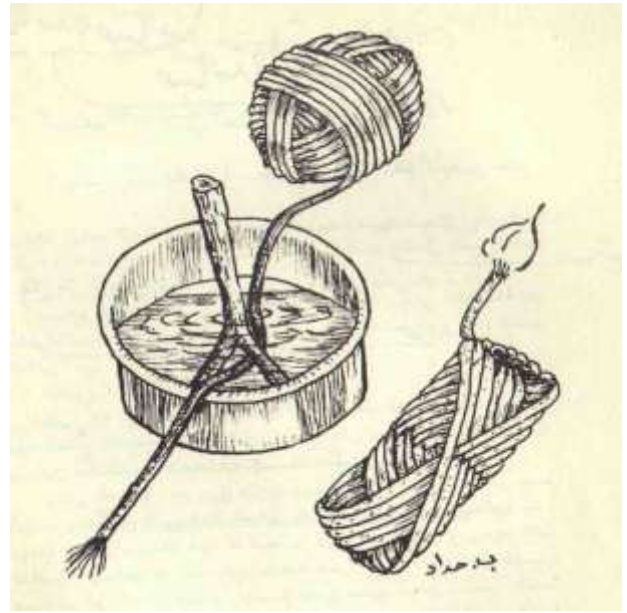
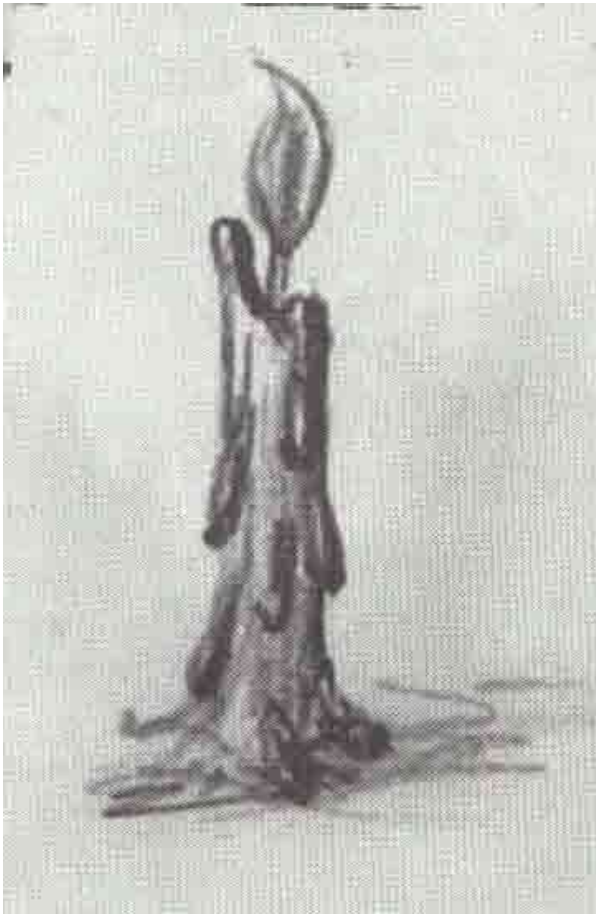
الشمع (مادة رخوة تتكون من خليط اغلبه دهني، وهو ما تفرزه النحلة وتصنع منه بيوتها المسدسة وتحفظ فيه عسلها.

والشمعة، قضيت من شمع العسل أو من مادة مماثلة تتوسطه فتيلة توقد ويستضاء بها). (٨)

والشمعة وسيلة للإضاءة قديمة جداً لم تفقد أهميتها مع مرور الزمن.

وقد اخذ إشكال مختلفة الأ انه حافظ على الشكل العام للسراج وهو ما يشبه طاسه الوعاء مثبت فيه يده في احد جانبيها يضع فيها الزيت أو الشحوم وتشعل للإضاءة، منذ اكتشاف الفخار قبل حوالي (١٠ آلاف سنة) وقد عثر على نماذج منها في مقابر المستوطنات البشرية لحضارات وادي الرافدين وفي مدافن الفرعون (توت عنخ آمون) ١٣٢٥ ق. م

تطورت صناعة السراج إذ تعلم الإنسان القديم استخدام الفتيل المصنوع من ألياف النباتات ويمر هذا الفتيل من خلال تجويف وهكذا أصبح بالإمكان حمل السراج ونقله وتفنن في أن يجعله جميلاً، فتبارى الحرفيون في صنعها وتجميلها بعد أن استعيض عن الخزف القابل للكسر بمعادن مثل الذهب والبرونز والزجاج كما أضاف المصريون الملح إلى زيت الإنارة لمنع انبعاث الدخان من النار المشتعلة واخذ صناع المصابيح يتفننون في صناعة شكل الصنبور المثبت فيه الفتيل في القرن الخامس عشر اخذ بعض الأثرياء في البلاد الأوروبية يضعون على نوافذ بيوتهم قناديل ويشعلونها طول الليل لا لأنار الشارع وإنما



فعند إشعال الخيط تأخذ النار بإذابة الشمع من حول الخيط وتستمر النار مشتعلة دون إتلاف الخيط وبذلك تشع النار في إضاءة ما حولها وفي الوقت الحاضر تصنع الشموع من مادة (البرافين) الناتجة من عمليات تكرير البترول لتواجدها بكميات كبيرة ورخيصة الثمن.

وللشموع استخدامات متعددة ، منها للإضاءة التقليدية في المنازل والكنائس والمساجد والأماكن العامة، أو للزينة، وهي ذات روائح مميزة بأنواع العطور المختلفة وتكون هذه الروائح لغرض إضفاء رائحة طيبة للمكان والاستخدام الآخر للشموع، هو استخدامه كهدايا أو تحف ترتبط بمنتج آخر كالفضة أو الخزف أو الزجاج.



وتشكل الشموع جزءاً من الطقوس في الكنائس والأضرحة والمزارات وقد اتخذته

الآن في العديد من الطقوس الكنسية عند قراءة الرسائل والإنجيل أثناء القداس وذلك للتذكير بحضور المسيح أثناء القربان .

المصادر

- (١) الكتاب المقدس / العهد القديم _ سفر التكوين ١٩ : ٢٤
- (٢) الكتاب المقدس / العهد القديم _ سفر التكوين ١ : ٣
- (٣) جريدة الوحدة (السورية) من العبادات الفرعونية ٣٠ / ٤ / ٢٠٠٧
- (٤) الشمس في المعتقدات القديمة / احمد ملا خليل (مقال .. موقع (alatbi
- (٥) الدملوجي . فاروق / الإلهية في المعتقدات الوثنية ص ٢٠
- (٦) الأساطير / احمد زكي ص ١٩٨
- (٧) المنجد في اللغة العربية / دار المشرق _ بيروت ٢٠٠١
- (٨) المنجد في اللغة المعاصرة / طبعة ثانية _ بيروت ٢٠٠١ ص ٧٩٣ .
- (٩) الجميل ، أئوري ناصر/ الرموز المسيحية _ بيروت ٢٠٠٧ ص ٣٣
- (١٠) لوقا ٢ : ٣٢

المسيحية واحداً من الرموز الكنسية المهمة وقد فسرت بعض الكتب الدينية الشمع بأن : (الكنيسة تأمر بإضاءة الشموع عند توزيع جميع الأسرار لتشهد أن النعمة الصادرة بقبول الأسرار صادرة من المسيح الذي هو نور العالم). (٩) وفي هذا الصدد يقول البشير لوقا في إنجيله (نوراً يتجلى للوثنيين)(١٠).

والمسيحي الذي يموت، ترافقه شموع مضاءة مع صلوات لنفسه قائلة: لتستريح نفسه بالنور الأبدي الذي هو المسيح. والشمع أيضاً هو رمز للروح القدس، وإضاءة الشموع أمام القربان أو في المزارات أو أمام تماثيل القديسين هي علامة تقوى ولا زالت الشموع توقد لحد

